جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي

مجلة فصلية محكمة
تعنى بالتراث البصري

تصدر عن :

العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث البصرة

السنة الأولى - المجلد الأول - العدد (الثاني)
رمضان ١٤٣٨هـ - حزيران ٢٠١٧م

جوانبُ مِنْ سياسةِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام معَ أهلِ البصرةِ

Aspects of Imam Ali's Policy (peace be upon) with Basrah People

م.د. علاء حسن مردان اللّاميّ

كلّيّة الإمام الكاظمِ عليه السلام للعلوم الإسلاميّة الجامعة– فرع ميسان

Dr. Alaa Hassan Mardan Allamy

Imam Kadhim College for Islamic Studies

ملخّصُ البحث

لقدْ حاولَ الإمام عليّ عليه السلام أنْ يتعاملَ مع أهل البصرة من باب الهداية إلى طريق الصّواب، مع الكشف عن الشّبهات التي تعترضُ الإنسانَ في حياته، سواء كانتْ هذه الشّبهات تفوق تفكير النّاس، أم أنّهم لا يملكون القدرة في التمييز بين الحقّ والباطل، فيقعونَ في الباطل من دون أنْ يعُوا ذلك، وهذا الأمر حَدَثَ مع بعضِ أهل البصرة؛ إذْ وقعوا ضحيّة الخطاب الدّينيّ -آنذاك- على أنّه النّهج الأصيل لدين الإسلام، فمُثِّل بكيان أمّ المؤمنين عائشة، حسب تصوّرات البعض، ومن ثمَّ لم يملكوا أكثر من اتّباع تبرير مواقف عائشة، فجعلُوا خروجها نصرة للدّين.

وهذا الأمر عالجه أمير المؤمنين عليه السلام بنظرته الثّاقبة، بوصفه متمّماً لمشروع هداية البشريّة بعد النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، فبدأ يكشف لبعض أهل البصرة تلك الأخطاء والشّبهات التي أحاطتْ بهم، وفَصَلَ بينَ الحقّ والباطل، واتّبع منهج الشّريعة الإسلاميّة للتّعبير عن العفو والتسامح بين المسلمينَ كافّة، وليس مِن حقّ أحدٍ من أهل البصرة مصادرة حقّ الآخرينَ، أو اتّهامهم بشيءٍ من القول أو الفعل، وأنْ يتعاملوا بصدق مع المواقف، لا أنْ يستغلّوها لمصلحةٍ ما، وأوعز عليه السلام إلى أهل البصرة أنْ يستغلّوا مواقف القوّة لمصلحتهم؛ من أجل تكريس مفهوم الوحدة والجماعة، لا مفهوم الفرديّة والانتقام، وهو بذلك يكشف عن روح الإسلام الحقيقيّة.

Abstract

Imam Ali (peace be upon him)resorted to guidance and propriety in his attempts to deal with the people of Basrah. Such a policy implied disclosing uncertainties that could face people in their life, whether they are beyond people's thinking or in case they are unable to distinguish right from wrong. Some Basrah people at that time fell victims of the religious discourse which, they thought, had represented the authentic course of Islam. One notable example of this phenomenon is the group of Basrah people who advocated Aaisha in her stand against Imam Ali.

Imam Ali, on his part, tackled these situations both diligently and wisely. He showed those people the uncertainties and mistakes made by them clinging all through to the principles of Islamic law. To bring this into reality, Imam Ali called for tolerance, forgiveness, justice,

and honesty. The concepts of unity and the group were called for away from individualism or revenge. All these endeavours uncovered the soul of true Islam.

مقدّمة

تنطلقُ دراسةُ التّاريخ الإسلاميّ من معرفة الشّخصيّات الإسلاميّة التي صنعتْ ذلك التّاريخ، أو أنّ التّاريخ هو مَن صنعها؛ إذْ إنّها مثّلتْ الدّورَ الأوّل للرّواية التّاريخيّة المبكّرة على أنّها صورة تلك الأحداث الحقيقيّة، فتناقلتها المصنّفات والمدوّنات التّاريخيّة على اختلافها، فجاء ذلك النّقل بصورٍ مختلفةٍ ومتفاوتةٍ في المعنى، تبعاً للمصنِّف أو المدوِّن، وهذا الأمر خلق صورة تاريخيّة تُؤَوَّل على أكثر من سياق أو وجهة نظر عند مَن يهتمّ لتاريخ الشّخصيّات، أو الأحداث الإسلاميّة بصورتها العامّة.

من هذا المنطلق، جاء هذا البحث ليسلّط الضّوء على الرّواية التّاريخيّة التي نقلتْ خبر الإمام عليّ عليه السلام مع أهل البصرة، وطبيعة سياسته عليه السلام معهم، وهل كان متفهّماً الوضع الذي حلّ بمدينتهم، أو إنّه تعامل معهم مِن منصب الخليفة والحاكم الآمر النّاهي على مَن هُم تحت سطوته، فيبرِّر أفعاله على وفق مصلحة السّياسة التي انتهجها لدولته؟ فهل فعلاً هذه الأفكار هي أساس سياسة أمير المؤمنين عليه السلام بين رعيّته، أو هناك صورة أخرى قدْ غيّبها التّاريخ، أو لمْ تُفسَّر بصورة أكثر قبولاً مع توجّه أمير المؤمنين عليه السلام، فليس كلّ ما يُقال صحيحاً، وليس كلّ ما يُعرف حقيقةً، بل في منهجيّة الكتابة التّاريخيّة يبقى المجال مفتوحاً لكلّ مَن يرغب في أنْ يطوِّع فكرته ويذوِّبها بناءً على الرّواية التّاريخيّة. ومحاولتنا هذه لمْ

تأتِ من أجل تبرير موقف ما يخصّ أهل البصرة في القرن الأوّل من الهجرة، ولا يرفع مِنْ شأنهم في ظلّ شخص أمير المؤمنين ﷺ، وإنّما هي محاولة لاستيعاب تلك السّياسة الرّائعة التي نهجها قائدٌ منتصرٌ يمتلكُ كلَّ المقوّمات للتحكّم بمصير مدينةٍ مغلوبةٍ، تمرَّد بعض أهلها عليه، وصادروا حقّه في قيادة الدّولة الإسلاميّة، بناءً على رغبة أغلب المسلمين -آنذاك-؛ إذْ هم مَن انتخب الإمام عليّاً ﷺ، وبطريقة الحرّيّة الحقيقيّة، من دون أنْ يُمارس فيها شيئاً مِن الضّغط، أو التخبّط في المصلحة الشّخصيّة أو الفئويّة.

إنّ نهج أمير المؤمنينَ ﷺ مع أهل البصرة كان محاولة منه في تحقيق المصلحة الإنسانيّة، وتحقيق سبل العيش الكريم، مِنْ دون أيّ تجاوزات، أو أنْ يكون هناك طالب حقٍّ، أو مغبون لمْ يهتد إلى حقّه، ولا يرغبُ في الإساءة وإشاعتها بين أبناء المدينة الواحدة، بل رغّبهم في الحياة المبنيّة على الودّ والتّسامح، بعيداً عن التزلّف أو التلوّن في صفحات الحياة، تبعاً للمواقف التي تعرّضوا إليها، وعلّمهم أنّ المسيء له الحقّ في الحصول على فرصة للتّصحيح وإدراك ما فاته مِن واقعٍ سلبه حقّ الاختيار تبعاً لصعوبته، أو لشرود الذّهن في الاتّجاه غير الصّحيح.

فسياسة أمير المؤمنينَ ﷺ كانت منطلقاً للتّصحيح، مع تحقيق الصّورة اللّائقة بها، وهذا الشّيء لا يتحقّق إلّا من خلال معالجة البيئة الفكريّة والثقافيّة للنّاس، فكان ﷺ خيرَ مَن مثّل ذلك؛ إذْ تجوّل في مدينة البصرة لأكثر مِنْ شهرين؛ منْ أجل هدايتهم إلى الحقّ، وكشف زيف الآخرينَ، أو الّذين ادّعوا أنّهم كانوا على حقّ في تطبيق حقّ الشّريعة الإسلاميّة، فنجده يكلّم النّاس على قدر معرفتهم، ويأمرهم باتّباع العقل في تحقيقِ الحقّ، لا اتّباع المشهور، وأيضاً بيّن ﷺ لهم بعض

التصرّفات التي بدأوها في بيئتهم على أنّها لا تمتّ لسمة الإنسانيّة بصلة، ومَن تعامَلَ بها عُدّ مِن تَبَعَةِ الجاهليّة، بل أكثر من ذلك، فقدْ يُعيَّر أبناؤه مِنْ بعده على فعلته تلك، وهذا يدلُّ على أنّه عليه السلام تعامل معهم على أساس عقولهم وفكرهم، لا على أساس ما يمتلكه مِنْ معارف وقيم إسلاميّة سامية.

المبحثُ الأوّلُ
نظرةٌ في البعدِ الدّلاليِّ لمفردةِ السّياسةِ

- السّياسة والتسيّس

عرّف أصحابُ اللّغة السّياسة بأنّها: (القيام على الشّيء بما يُصلحُه)، وفي قولهم: سوَّسَهُ القومُ، جعلوه يسوسهم، ويقال: سوَّسَ فلان أمرَ بني فلان، أي: كُلِّف سياستَهم[١]. وقال الجوهريّ: سُوِّسَ الرّجلُ أمورَ النّاس، على مالم يُسَمَّ فاعلُه، إذا مُلِّكَ أمرهم، ويذكرُ قول الحُطيئة:

لقدْ سُوِّسْتِ أمرَ بنيكِ حتّى تركتِهِمُ أدَقَّ مِنَ الطّحِيْنِ[٢].

وقيل: الإمام عارف بالسّياسة، وكان بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم، وهو القيام على الشّيء بما يُصلحه[٣].

وفي غريب الحديث، يقال: آلَ الأمير رعيّته، يؤولها أولاً وإيالاً، أي: ساسها، وأحسن رعايتها[٤]. فالسّياسة هي ولاية شؤون الرعيّة وتدبير أمورهم، والقيام على الشّيء بما يُصلحه، فكانتْ نظرتُهم على أساس المسؤوليّة الملقاة على عاتقهم، وربّما كانتْ هذه المسؤوليّة تفرض عليهم الخروج عن مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة من أجل إصلاح الشّيء بما يُناسبه، فربّما كانتْ ملازمة للحقّ، أو على النقيض من ذلك، بأنْ تقوم على أساس الخدعة بالأماني من أجل تلافي خطرٍ ما.

أمّا نظرة المؤرّخينَ إلى السّياسة والمُلك بوصفهما ذواتَي ارتباط ثنائيّ، فيرى ابن حزم -مثلاً- أنّه يجبُ أنْ تتوافر بعض الشّروط بصاحب الإمارة، منها: «حُسنُ السّياسة، ونجدة النّفس، والرّفق في غير مهانة، والشدّة في غير عنف،

والعدلُ بغير إسراف، وتمييز صفات النّاس في أخلاقهم، وسَعة الصّدر، معَ البراءة مِن المعاصي، والمعرفة بما يخصّه في نفسه وفي دينه، وإنْ لم يكن صاحب عبارة، ولا واسع العلم»[٥]. وهناك مَن يذهبُ إلى أنّ «السّياسة والمُلك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم، وأحكامُ الله في خلقه وعباده إنّما هي بالخير ومراعاة المصالح، كما تشهد به الشّرائع، وأحكامُ البشر إنّما هي من الجهل والشّيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره»[٦]. فنظرة المؤرّخينَ تقومُ على أساس التّقريب بين الدّين والسّياسة في التّدبير[٧]، يقول أحدُ الباحثينَ: «لا فصل بين المسائل السّياسيّة وبينَ أيّ مسألةٍ مِن المسائل الفقهيّة الدّينيّة على الإطلاق؛ إذْ الدّين عينُ السّياسة، والسّياسة عينُ الدّين؛ لأنّ التحرّك السّياسيّ في مختلف المجالات والأنحاء يحتاج إلى الفقيه ليعطيَ الشّرعيّة له»[٨].

وقدْ أقام الإسلامُ سياسةً بنّاءة تقوم على العدل والمساواة وتحقيق الرّفاهية الشّاملة لجميع الأمم والشّعوب، من دون استثناء، فهي أجدر سياسة وأقومها بتحقيق العدل الاجتماعيّ[٩]. فقدْ حدّد الإسلام منطلقات الحكّام وأساليب التّدبير لحفظ الرعيّة، ومِن ثَمّ يكون هناك توازن بين الحاكم والمحكوم في إنصاف الطّرفين، لإشاعة روح التعاون والألفة الجماعيّة؛ لأنّ السّياسة تقوم على أساس الحقوق الشّرعيّة، وليس على حساب المصالح والغايات والأطماع الشّخصيّة.

أمّا نظرة الغرب للسّياسة، فقدْ عدّوها (حكم الدّول)[١٠]، على وفق النّظرة الحديثة القائمة على أساس العلاقات التّجاريّة والاقتصاديّة والتّبادل النفعيّ، وقدْ توسّعوا في دراسة هذا الاتّجاه ليتمكّنوا من الغطرسة والسّيطرة على الكيانات الضّعيفة والتحكّم بمصيرها على حساب مصالحها بالدّرجة الأولى،

ومِن ثمَّ نظروا إلى الإسلام بنظرة التّصغير، وجرّدوه من تلك السّياسة الشّاملة، التي تقوِّض مشاريعهم الاحتكاريّة؛ لذلك فجذور السّياسة الإسلاميّة هي منطلق لحفظ الشّعوب واستقلالها بكيانها لتواصل حياتها[١١].

المبحثُ الثاني

سّياسةُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في احتواءِ المخالفينَ وعدمِ إقصائهم

ونظراً إلى اتّباع سياسة الإسلام الحكيمة في تدبير شؤون الخلق، كانتْ سياسة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في أهل البصرة خيراً لَمَنْ اتّبعه واقتفى منهجه ممّا طلعتْ عليه الشّمس[١٢]، فهدف الإمام هو الحفاظ على روح الإسلام الفتيّ، والدّفاع عن مبادئه وتحقيق العدالة، وهذه الإجراءات ليس كما عرفها أهلُ اللّغة من القيام على الشّيء بما يُصلحه، بل التزم أمير المؤمنينَ عليه السلام سياسة التّعامل على قدر عقول البصريّين واحتواء أفكارهم، فهو لمْ يوجِّه التُّهم وإصدار العقوبة لَمَنْ خالفه بعد نهاية معركة الجمل، بل التزم مبدأ الحرّيّة والتّعبير عن الرّأي، الذي يعكس منهج الإمام السّياسيّ المتكامل؛ إذْ إنّه جاء للحفاظ على الوحدة السّياسيّة والاجتماعيّة، وتوجيه النّصح، ومنح الفرصة لَمَن انحرف عن جادّة الصّواب[١٣]. وهذا التوجّه استخدمه عليه السلام قبل دخوله البصرة، وقبل وقوعِ القتال؛ كي يتسنّى للنّاس مراجعة أمرهم ومعرفة الحقيقة على أوضح صورة، فالإمام عليه السلام اعتمد على السّياسة الإسلاميّة، كي لا يكون هناك مغبونٌ، أو طالب حقّ لمْ يجد الدّليل إلى مطلبه، لذلك كانتْ سياسته ضمن إطار الإسلام والشّريعة

ككلٍّ، حتّى يكون مقبولاً عند الله -عزّ وجلّ-، وتترتّب عليه آثار الطّاعة في الحياة، ويؤدّي ثماره كاملة(١٤). ثمّ إنّ خروج أمير المؤمنينَ عليّ ﷺ إلى البصرة كان لحفظ أهلها من الانحراف، وتخليصهم من الفتنة التي ابتُلوا بها، فهو لمْ يكن بعيداً عن صوت النّاس في البصرة، بل إنّه ﷺ كان على علمٍ بحال أهلها وما يواجهونَ مِن الضّغوط التي سيفرضها الطّرف الآخر في سبيل الحصول على مبتغاه السّياسيّ، فما إنْ علمَ بحال أهل البصرة، حتّى نجده يتأسّف عليهم، وكأنّه قدْ كان معهم في وقيعتِهم(١٥).

ويُروى أنّ الإمام عليّاً ﷺ التقى بعضَ أهل البصرة قبل وقوع معركة الجمل، ومِن بين أهلها (كليب الجرميّ)(١٦)، وقدْ أرسله قوم من أهل البصرة لمّا قرب ﷺ منها، ليعلمَ لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل، لتزول الشّبهة من نفوسهم، فبيَّنَ ﷺ له من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ، ثمّ قال: «بايعْ، فقال: إنّي رسولُ قومٍ لا أُحدِثُ حدثاً حتّى أرجع إليهم، فقال ﷺ: «**أرأيتَ لو أنّ الّذينَ وراءك بعثوكَ رائداً تبتغي لهم مساقطَ الغَيث، فرجعتَ إليهم فأخبرتهم عن الكلاء والماء، فخالفُوا إلى المعاطش والمجادب، ما كنتَ صانعاً؟**»، قال: كنتُ تاركَهم ومخالفَهم إلى الكلاء والماء، فقال ﷺ: «**فامدُدْ إذاً يدكَ**»، فقال الرّجل: فو الله ما استطعتُ أنْ أمتنع عند قيام الحجّة عليَّ، فبايعتُه ﷺ»(١٧). ويبدو أنّ هذا التّشكيك الذي أثاره بعض أهل البصرة جاء بناءً على مشروع النّاكثينَ التثقيفيّ بشأن أحقيّة الإمام عليّ ﷺ، وهل هو على الصّواب أو على الباطل؛ إذْ كان عبد الله بن الزّبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوماً في البصرة، فقال: قدْ أتاكم الوغد اللّئيم عليّ بن أبي طالب(١٨).

فالأحداث السّياسيّة التي نشأتْ في البصرة، أصبحتْ ذات اتّجاهات متشعّبة، وكلّ اتّجاه يُحاول أنْ يكسب الصّراع لمصلحته، من دون الالتفات إلى مبادئ الدّين الإسلاميّ، فأصبحتْ العاطفة في جانب، والهوى والعصبيّة في جانبٍ آخر، فكانَ على أمير المؤمنين عليه السلام أنْ يعمل على وفق تلك الاختلافات، وأنْ يوفّق بينها وبين حقيقة الإسلام ما أمكنه، حتّى إنّ الإمام عليه السلام كان يقول: «**العدلُ أفضلُ السّياستين**»[١٩]، فهو يحاولُ أنْ يطبّق الشّرع على منهجه السّياسيّ في معاملته أهل البصرة والعدل دينيّاً ودنيويّاً، فالعلم بالمسائل السّياسيّة جزء لا يتجزّأ عن العلم الفقهيّ العباديّ أو الاجتماعيّ[٢٠]. وهذه السّياسة جعلتْ البعض يتّهمونَ أمير المؤمنينَ عليه السلام بضعف التّدبير في هذا المجال، فيقول ابن أبي الحديد :«إنّ السّائس لا يتمكّن مِن السّياسة البالغة إلّا إذا كان يعمل برأيه، وبما يرى فيه صلاح ملكه، وتمهيد أمره، وتوطيد قاعدته، سواء وافق الشّريعة أو لمْ يوافقها، ومتى لمْ يعمل في السّياسة والتّدبير بموجب ما قلناه، فبعيدٌ أنْ ينتظم أمره، أو يتوثّق حاله»[٢١]. لكنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان بعيداً عن وصف ابن أبي الحديد، الّذي حاول أنْ يطبّق نظريّة السّياسة على كلّ حكم، ولا يتمكّن الحاكم من النّجاح في مجال حكمه، إلّا إذا اتّبع هواه في سياسته، وهو ما يخالف تعاليم الدّين الإسلاميّ ومنهجه، فالإمام عليٌّ عليه السلام لمْ يكن من هذا النّوع الذي يسعى لتحقيق مصالحه الشّخصيّة، أو الظّهور بمظهر الحاكم المهيمن على شعبه، بل كان يسعى إلى تطبيق حدود الله على أحسن وجه، «فعليٌّ كان بالورع ملجماً عن جميع القول إلّا ما هو لله فيه رضاً، ولا يرى الرِّضا إلا فيما دلّ عليه الكتاب والسّنّة، وممنوع اليد من البطش، إلّا ما هو لله رضاً، دون ما يعوّل عليه

أصحاب الدّهاء، والنّكرى- ناكر الحقيقة متغير- والمكايد والآراء»[٢٢]. فأمير المؤمنينَ عليه السلام هو الرّاعي الذي يسهر على شعبه ويحرص على عدم المساس به بسوء[٢٣]، وهذا الأمر جعله يُعرض عن المصانعة وبذل الأموال على حساب الدّين، في سبيل التّأثير على عقيدة النّاس؛ لذلك قيل: «إنّ مسألة قعود العرب عن نصرة الإمام عليٍّ عليه السلام هو أمر المال؛ لأنّ الإمام لم يكن يفضِّل شريفاً على مشروف، ولا عربيّاً على أعجميّ، ولا يُصانع الرّؤساء وأمراء القبائل، كما يفعل الآخرون، ولا يستميل أحداً لنفسه، كما فعل معاوية؛ لذا ترك النّاس عليّاً»[٢٤]. فسياسة التّساوي والإنصاف بين الرّعيّة أصبحتْ معكوسة بنظر البعض؛ إذْ يرونَ أنّ الإمام عليّاً عليه السلام غير أهل للسّياسة، متناسينَ دوره القياديّ في حفظ الأمّة الإسلاميّة مِن التمزّق والفرقة والانحراف.

ثمّ إنّ أمير المؤمنينَ عليه السلام اتّبع سياسة العفو عند المقدرة مع أهل البصرة، فلمّا انتهتْ معركة الجمل لصالحه، نادى منادٍ:«لا يُجهَز على جريح، ولا يُتبع مولٍّ، ولا يُطعَنُ في وجه مدبرٍ، ومَنْ ألقى السّلاح فهو آمن، ومَنْ أغلقَ بابَه فهو آمن»[٢٥]، وعن الإمام الصّادق عليه السلام، قال: «**وكانتْ السّيرة فيهم - أهل البصرة - من أمير المؤمنينَ، ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل مكّة يوم الفتح**»[٢٦]؛ لذلك قيل: «مَنْ تأمّل حال الرجّلين -النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، والإمام عليّ عليه السلام- وجدهما متشابهتين في جميع أمورهما»[٢٧]، وهذا ما جعل أمير المؤمنينَ عليه السلام يسير بالمنِّ والعفو في أهل البصرة، فأحبّ أنْ يقتديَ مَنْ جاء مِن بعدِهِ، فيسير في المسلمين بسيرته، ولا يُجاوز فعلَه، فيرى النّاس أنّه قدْ تعدّى وظَلَمَ[٢٨].

وقيل: إنّ أهل البصرة من أهل البغي، الذينَ يقاتلونَ ولا رئيسَ لهم، فإذا

لمْ يكنْ لهم رئيس يرجعونَ إليه، فإنّه لا يُجهَز على جريحهم، ولا يُتّبع هاربهم، ولا تُسبى ذراريهم، ولا يُقتل أسيرهم، ومتى كان لهم رئيس يرجعونَ إليه، جاز للإمام أنْ يُجهِز على جريحهم، ويَتّبع هاربهم، وأنْ يقتلَ أسيرهم[٢٩]. وكأنّ أمير المؤمنين ﷺ حاول أنْ يسنّ سنّةً في أهل الإسلام لِمَن جاء مِن بعدِهِ من الحكّام، على التزام الشّرع في دار الهجرة والإسلام، فلا يجوز سبيهم وقتل أسيرهم[٣٠]، فكان تعاملهﷺ مع أهل البصرة بصفةِ أنّ مدينتهم دار هجرة، وهي تابعه للمسلمينَ، وليس مِن حقّ الحكّام التّجاوز عليها، أو انتهاك حرمة أهلِهَا، فلمّا التمس جماعة من جيشه تقسيم ذراري أهل البصرة وأموالهم ونسائهم بين المجاهدينَ، «قال أصحابُه: اقسمْ بيننا ذراريهم وأموالهم؟ فقال: **ليس لكم ذلك**، قالُوا: كيف أحللتْ لنا دماءهم ولا تُحلّ لنا سبي ذراريهم؟ قال: **حارَبَنَا الرّجالُ فحاربناهم، فأمّا النّساءُ والذّراريّ، فلا سبيلَ لنا عليهم، لأنّهنَّ مسلماتٌ، وفي دار هجرةٍ، فليسَ لكُمْ عليهنَّ سبيلٌ، فأمّا ما أجلبُوا عليكُمْ به، واستعانُوا به على حربِكُمْ، وضمَّهُ عسكرُهُمْ وحواهُ، فهُوَ لَكُمْ**»[٣١]. فالتزم أمير المؤمنينَ ﷺ سياسة المثل في أصحابه، وأنّ النّساء يخضعنَ لشروط الدّين الإسلاميّ، فلا يُمكن التّجاوز على حقّهنّ، ولا سبيهنّ، «وما كان في دورهم، فهو ميراث على فرائض الله -تعالى- لذراريهم، وعلى نسائهم العدّة، وليس لكم عليهنّ ولا على الذّراري من سبيل»[٣٢]. فلمّا كثر على أمير المؤمنينَ الاحتجاج من أصحابه بشأن النّساء والذّراريّ، قال: «**أيّكُم يأخذُ عائشة في سهمِهِ**»، فسكتُوا عن ذلك. فهذه السّياسة ناتجة عنْ عبقريّة أمير المؤمنينَ ﷺ في تطبيق الشّرع، وإرضاء جيشه فيما يبغونَ إليه على وفق حدود الدّين الإسلاميّ، وهو قادرٌ على تلبية رغبات جيشه، لكنّه أبى

البطش، وأعلنَ الصّفح والعفو والالتزام بحقوق الدّين الإسلاميّ التي لا يجوز تخطّيها، ومِنْ ثَمَّ كان التزامُهُ تلكَ الطّريقة من أجل التّشريع، فجَعَلَ أصحابه على بيِّنةٍ من أحكام الإسلام، لتتسنّى لهم قاعدة فقهيّة يلتزمونها في الأوقات المشابهة لما حصل في حرب البصرة، فالإمام ﷺ كان يتصرّف تصرّف إقامة الحجّة بين أتباعه؛ لأنّ «أمير المؤمنينَ كان مقيّداً بقيود الشّريعة، مدفوعاً إلى اتّباعها ورفض ما يصلح اعتماده منْ آراء الحرب والكيد والتّدبير، إذا لمْ يكن الشّرع موافقاً، فلمْ تكنْ قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممّن لمْ يلتزم بذلك»[٣٣]؛ لذلك نجد الإمام ﷺ لمْ يخالف الشّرع منْ أجل السّياسة[٣٤] والمصالح الدّنيويّة في الوصول إلى السّلطة، ويبدو أنّ الإمام عليَّ بن أبي طالب ﷺ لمْ يكن مثل الحكّام الّذين كانَ همُّهم صنع المجد وإثرة الرّياسة على طول عهودهم، منتهكينَ تعاليم الدّين الإسلاميّ، بل كان أمير المؤمنينَ أعلى مرتبةً مِنْ تلك الصّفات التي تميلُ نحو حبِّ الذّات من أجل العيش للدّنيا فقط، فسياسة الإمام ﷺ كانتْ مرتبطةً بالمشروع السّماويّ الذي بدأ به الرّسول الأكرم محمّد ﷺ.

فالشّرع أفضل طريقة لإنجاح السّياسة لدى الحكّام، ولكنّ هذه السّياسة تتضارب مع أصحاب البِدَع والأهواء، وذوي الغلط الفاحش، الّذين يميلونَ لحساب جماعةٍ ما (أحزابهم)، لتحقيق ما يرغبونَ إليه منْ مكاسب دنيويّة، ومنْ أجل تحقيق مآربهم هذه، توهّموا أنّ السّياسة الشّرعيّة قاصرة عن سياسة الخلق ومصلحة الأمّة، فتعدّوا حدود الله تعالى، وخرجوا من الشّرع إلى أنواعٍ من الظّلم والبِدَع في السّياسة[٣٥]. فالإمام عليٌّ ﷺ عمل بأمر الله -عزّ وجلّ- ونهيه، فقدْ استنقذ نفسه، واستنقذ مَنْ أطاعه مِن أصحابه منْ عذاب الله، وأحرز وأحرزوا

به ثوابه -جلّ ذكره-[٣٦].

وهناك رواية تاريخيّة تُشير إلى أنّ أمير المؤمنينَ عليه السلام كان خشِناً في ذات الله، لا يتعاطف مع الضّلالة على حساب الهداية، وهذا الأمر حدث في البصرة بعد انتصاره في معركة الجمل، فالرّوايات تُشير إلى أنّ سبعينَ رجلاً من الزُّطّ أتوه عليه السلام يدعونَه إلهاً بلسانهم، وسجدُوا له، فقال لهم: «**ويلَكُم، لا تفعلُوا، إنّما أنَا مخلوقٌ مثلُكُم**»[٣٧]، فأبَوا، فحَفَرَ لهم أخاديد، وأوقد ناراً، فكان قنبر[٣٨] يحمل الرّجل فيقذفه في النّار، «فجعلُوا يقولونَ وهم يُرمونَ في النّار: الآن صَحَّ عندنا أنّه اللهُ؛ لأنّه لا يُعذِّبُ بالنّار إلّا الله»[٣٩]، وفي ذلك كان الإمام عليه السلام، يقول:

إنّي إذَا أبصرتُ أمْراً مُنكراً ... أوقَدْتُ نَاراً ودَعَوْتُ قنبراً

ثمَّ احتفرتُ حُفَراً فحُفَراً ... وقنبرٌ يَخطمُ خَطماً مُنكَراً[٤٠]

ويقول ابن حزم: «فإنّ مِحنةَ أبي الحسن رضي الله عنه من بين أصحابه رضي الله عنهم كمِحنةِ عيسى صلّى الله عليه وسلّم بين أصحابه منْ الرّسل عليهم السلام»[٤١]. فهل تصحُّ هذه الرّواية التي نُقلتْ في الكتب التّاريخيّة على اختلافها[٤٢]، ومن ثَمّ تُرسم سياسة للإمام عليٍّ عليه السلام مع غلاة البصرة، أو الحكم بحرق مَن ارتدّ عن الدّين الإسلاميّ بالنّار؛ ليضعَ حدّاً لكلّ مَن تسوِّلُ له نفسُه بالارتداد، أو المغالاة في الدّين الإسلاميّ؟

فإذا صحّتْ هذه الرّواية، فهي تكشف عن وجهة نظر أمير المؤمنينَ عليه السلام في محاربة كلّ مَن تطرّف في فهم الدّين، أو ممّن يُحاولُ أنْ يحقّقَ مكاسبَ دنيويّة تحت ظلِّ الدّين والحكومة معاً، مع ملاحظةِ أنّ الإمامَ عليه السلام « لمْ يقتلهم دفعةً واحدةً، بل حبسهم، وبيّن لهم، وأتمّ عليهم الحجّة، واستتابهم، فلمْ يرجعوا، ثمّ حفر

لهم حفراً مثقوبة على بعضها، ودخَّن عليهم، فلمْ يتوبُوا، فقتلهم»[٤٣]. قال ابن عبد البَرّ: « فاتخذوه ربّاً، وادّعوه إلهاً، وقالُوا له: أنتَ خالقُنا ورازقنا، فاستتابَهم، واستأنى، وتوعّدهم، فأقامُوا على قولهم، فحَفَرَ لهم حفراً دخَّنَ عليهم فيها طمعاً في رجوعهم، فأبوا، فحرقَهُم»[٤٤].

وقدْ قامَ الإمام عليه السلام بمعالجة البنية الفكريّة لبعض النّاس الذين ابتعدوا بتفكيرهم عن جادّة الصّواب، محاولة تحرير الفكر من أنْ يكون جامداً في قضايا الدّين، مع الإشارة إلى أنّ أمير المؤمنينَ عليه السلام لمْ يكنْ يسعى وراء المناصب الدّنيويّة، أو الاستعلاء في الأرض، فلو كان من هذا القبيل لكان في هذه الحادثة الكفاية لتحقيق تلك المطالب، وحاشا للإمام عليه السلام أنْ يكون من ذلك النّوع، وهو القائل: «**إنّ دينَ الله لا يُعرفُ بالرّجالِ، بل بآيةِ الحقِّ، فاعرفْ الحقّ تعرِفْ أهلَهُ**»[٤٥].

وفي بعض الرّوايات التّاريخيّة، قال له الحارث بن حوط الرّانيّ[٤٦]: « أترى طلحة والزّبير وعائشة اجتمعُوا على باطل؟ فقال: **يا حارثُ، إنّه ملبوسٌ عليكَ، وإنّ الحقّ والباطلَ لا يُعرفانِ بالنّاس، ولكنْ، اعرفْ الحقَّ تعرفْ أهلَه، واعرفْ الباطلَ تعرفْ مَن أتاهُ**»[٤٧]؛ لذلك استعصى على فلاسفة التّاريخ مِن عربٍ ومستشرقين فَهْم شخصيّة الإمام عليٍّ، فأخطأوا، ونزعوا عنه صفة السّياسة، واكتفوا بوصفه بالوَرعِ في الدّين والزّهد في الدّنيا، ولكنّ اجتهاد أمير المؤمنينَ عليه السلام، ونزعه الشّديد إلى منهج التّوفيق بين الورع في الدّين والصّراحة في السّياسة، كان فوق مدارك هؤلاء المؤرّخينَ[٤٨]؛ لذلك كان عليه السلام يقول على منبر البصرة: «**لَيحبُنّي أقوام حتّى يُدخلُهُم حبّي النّار، ولَيُبغضُني أقوامٌ حتّى يُدخلُهُم بغضي النّار**»[٤٩]. فأمير المؤمنين عليه السلام كان يحذِّر القوم من الإفراط أو التّفريط في حقّه، من ناحيتي

الحبّ، أو البغض، وعلى الإنسان أنْ يميّز بين الصّالح والطّالح، لا أنْ يتّبع خطى الآخرين فيما قدموا عليه، منْ دون أنْ يتأكّد من الأمور حالة حدوثها، كما هو حال أهل البصرة؛ إذْ ابتُلوا بفتنةِ الصّحابة، وزوج النّبيّ عائشة، وما إنْ انتهتْ المعركة حتّى تبدّلتْ النّفوس، وأصبحتْ المسألة تمسّ العقيدة الإسلاميّة، فالتزم الإمام عليه السلام سياسة التّرغيب والتّرهيب، كلٌّ في محلّه، حتّى يتسنّى للقوم ركوب المسار الصّحيح، لهذا قيل: « سياسةُ عليٍّ لمْ تورّطه في غلطات كان يسهل عليه اجتنابها باتّباع سياسةٍ أخرى، وهي كذلك لمْ تبلغه مآرب مستعصية، كان يعزّ عليه بلوغها في موضعه الذي وُضع فيه، وعلى مجراه الذي جرى عليه»[٥٠]. لذلك كان يأمل في أنْ يهدي الرّعية إلى جادة الصّواب، وإصلاح حال أهل البصرة عن طريق العفو والتّسامح، فكان يحبُّ أنْ يقودهم إلى الله -عزّ وجلّ-[٥١].

وهذا الأمر طبّقه الإمام عليٌّ عليه السلام حتّى مع أصحاب الدّيانات الأُخَر؛ إذْ إنّ هناك رواية تبيّن الطريقة التي نهجها أمير المؤمنينَ مع النّصارى في البصرة -آنذاك-، فقدْ رُوي أنّه لمّا بايع أهل البصرة عليّاً عليه السلام بعد الهزيمة، دخلُوا في الطّاعة غير بني ناجية، فإنّهم عسكروا، فبعث إليهم عليٌّ عليه السلام رجلاً من أصحابه في خيل ليقاتلهم، فأتاهم فقال: ما بالكم عسكرتُم وقدْ دخل النّاس في الطاعة غيركم؟ فافترقوا ثلاث فرق، فرقة قالُوا: كنّا نصارى، فأسلمنا، ودخلنا فيما دخل فيه النّاس من الفتنة، ونحنُ نبايع كما بايع النّاس، فأمرهم، فاعتزلوا، وفرقة قالُوا: كنّا نصارى ولمْ نُسلمْ، فخرجنا مع القوم الّذين كانوا خرجوا، قهرونا، فأخرجونا كرهاً، فخرجنا معهم، فهُزموا، فنحنُ ندخلُ فيما دخل فيه

النّاس ونعطيكم الجزية كما أعطيناهم، فقال لهم: اعتزلوا، وفرقة قالُوا: إنّا كنّا نصارى، فأسلمنا، فلمْ يُعجبنا الإسلام، فرجعنا إلى النّصرانيّة، فنحنُ نُعطيكم الجزية كما أعطاكم النّصارى، فقال لهم: توبُوا وارجعوا إلى الإسلام، فأبوا، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، فقدم بهم على عليٍّ عليه السلام[٥٢].

والظّاهر من الرّوايات التّاريخيّة أنّ الإمامَ عليّاً عليه السلام كان طويل النَّفَس في تعامله مع أهل البصرة، فلمْ يكنْ يتعامل معهم على وِفق منصبِهِ بوصفه حاكمَ الدّولة الإسلاميّة، أو بوصفه إماماً معصوماً مفترض الطّاعة، أو شخصاً قادراً على أنْ يتّخذ موقفاً متشدّداً على جميع أهلها، فيُطبَّق حالة صدوره، بل ابتعد عن ذلك الشّأن؛ لأنّه لا يُقدِّم إلّا المرجوَّ في صلاح أهلها، بل قدْ يُفهم ذلك على أنّه تعدٍّ على حقوقهم، لاسيّما وأنّ معارضي الإمام عليٍّ عليه السلام كانوا مازالوا متواجدينَ في مدينة البصرة، وأيّ نقطة مثيرة للجدل يعملونَ على استغلالها، فحاجج عليه السلام أهلها، وأبطل جميع ما أثاروه من أمور الجدل، ففي الرِّواية: «لمّا انهزمَ أهلُ البصرة، قام فتى إلى عليٍّ صلوات الله عليه، فقال: ما بال ما في الأخبية لا تقسَّم؟ فقال عليٌّ عليه السلام: **لا حاجة لي في فتوى المتعلِّمينَ**، قال: ثمّ قام إليه فتىً آخر، فقال مثل ذلك، فردَّ عليه مثل ماردَّ أوّلاً، قال له الفتى: أمَا والله ما عدلتَ، فقال له عليٌّ عليه السلام: **إنْ كنتَ كاذباً، فبلغَ اللهُ بكَ سلطانَ فتى ثقيف**، ثمّ قال عليٌّ عليه السلام: **اللّهمّ إنّي قدْ مللتُهُم وملُّوني، فأبدلْني بهم ما هو خيرٌ منهم، وأبدلْهم بي ما هو شرٌّ لهم**»[٥٣].

فهذا الأمر الذي اتّبعه الإمام عليه السلام لا يُفسَّر على أساس أنّهُ ضعفٌ منه في مواجهة أولئك الفتيان، بل حاول أنْ يستدرجهم إلى حكمته، فيتعامل على أساس معارفه لاحتواء فكرهم، وهذا الأمر له أثرٌ كبيرٌ جدّاً في واقع النّفوس لتتغيّر؛ إذْ إنّ عقليّة

العرب -آنذاك-كانتْ تسلِّم للأمور الغيبيّة، التي يدلُّ الحديث على وقوعها في المستقبل، ومِنْ هنا تعامَلَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام على مخاطبة أفكارهم، وما احتاجوه مِنْ معالم ثقافيّة، على وفق بيئتهم ومستوى التّفكير حينها، لهذا خاطبهم عليه السلام مِنْ على منبر جامع البصرة، قائلاً: «**يا أهلَ البصرة، إنْ كنتُ قدْ أدّيتُ لكم الأمانةَ، ونصحتُ لكُم بالغيب، واتّهمتمُوني، وكذّبتمُوني، فسلّط الله عليكم فتى ثقيف. فقام رجلٌ، فقال له: يا أميرَ المؤمنينَ، وما فتى ثقيف؟ قال: رجلٌ لا يدعُ لله حرمةً إلّا انتهكها، بهِ داءٌ يعتري الملوك، لو لمْ تكنْ إلّا النّار، لدخلها**»[٥٤]. وفتى ثقيف هو الحجّاج بن يوسف الثقفيّ (٤٠-٩٥هـ/ ٦٦٠ -٧١٤م)، عامل بني أميّة على العراق، وقيل: إنّ الفتى البصريّ الذي ردّ على أمير المؤمنينَ عليه السلام -آنذاك- قدْ بقي حتّى ولاية الحجّاج فقتله[٥٥].

وقدْ ذكر المجلسيّ خطبةً للإمام عليّ عليه السلام يمدحُ فيها أهل البصرة، ويحثّهم على فهم واقعهم، وعلاقة الإسلام بأهله، جاء فيها: «**وأُقسمُ لكُم يا أهلَ البصرة، ما الّذي أبتدئكُم به مِنَ التّوبيخ، إلّا تذكيرٌ وموعظةٌ لما بعد؛ لكي لا تُسرعُوا إلى الوثوب في مثل الذي وثبتُم، وقدْ قال اللهُ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٥٦]، **ولا الّذي ذكرتُ فيكم من المدحِ والتّطريةِ بعد التّذكير والموعظة رهبةً منّي لكم، ولا رغبةً في شيءٍ ممّا قِبَلَكُم**»[٥٧]. وجاء في أحد كتبه إلى ابن عبّاس، عندما تركه على ولاية البصرة: «**فحادِثْ أهلَها بالإحسانِ إليهم، واحلُلْ عقدةَ الخوفِ عنْ قلوبِهم، وقدْ بلغنِي تنمّرُكَ**[٥٨] **لبني تميم، وغلظتُكَ عليهم، وإنّ بني تميم لمْ يغِبْ لهم نجمٌ، إلّا طلع لهم آخَر، وإنّهم لم يُسبقُوا بوَغْمٍ**[٥٩] **في جاهليّةٍ ولا إسلامٍ**»[٦٠]. فالإمام عليه السلام حاولَ أنْ يكشفَ سلبيّات الوالي، وإصلاحها بطريقةٍ

أفضل، تلائم واقع أهل البصرة، وكلٌّ حسب انتمائه القبليّ، فكان يراقب ولاته، ويحملُهم على الإصلاح ما وجد إلى ذلك سبيلاً[٦١]، وتبنّى العدل بجميع رحابه ومفاهيمه، فكان يُشرف على كلّ أمرٍ في رقاع دولته، ويتفقّد أحوال رعيّته.

المبحثُ الثالثُ

السّياسةُ الماليّةُ للإمام عليه السلام في أهلِ البصرةِ

أمّا سياستُه الماليّة في أهل البصرة، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان زاهداً في الأموال، بل حاول أنْ يعكس للآخرينَ من أهل البصرة أنّ الأموال لا تعني له شيئاً، وهي سبب في اغترار غيره ممّن نكث بيعتَه، ليقدم على مدينة البصرة فينهب مِنْ أموالها، أو يستولي على خيراتها، بداعي مرتبته في الإسلام، يروى عن أبي حرب بن أبي الأسود[٦٢]، قال: «إنّ عليّاً لمّا قدم البصرة، دخل إلى بيت المال، فنظرَ إليه، ثمّ أضرطَ به[٦٣]، وقال: **غُرِّي غيري، غُرِّي غيري**»[٦٤].

وقبل أنْ يتوجّه إلى الكوفة، قام عليه السلام في أهل البصرة، فقال: «**ما تنقِمونَ عليَّ يا أهل البصرة؟** وأشار إلى قميصه وردائه، فقال: **والله، إنّها لَمِنْ غَزْلِ أهلي، ما تنقِمونَ منّي يا أهل البصرة؟** وأشار إلى صرّة في يده فيها نفقتُه، فقال: **والله، ما هي إلّا مِن غَلّتي بالمدينة، فإنْ أنا خرجتُ مِنْ عندِكُم بأكثر ممّا ترونَ، فأنا عندَ الله مِنَ الخائنينَ**»[٦٥]. والظّاهر مِنْ هذه الرّواية، أنّ البعض كان يخطّط للتّرويج لبعض الأفكار غير الصّحيحة تُجاه أمير المؤمنينَ عليه السلام، غايتُهُ من ذلك بثّ فكرٍ معارضٍ لحكومة الإمام عليٍّ على أنّها حكومة انتهازيّة، همُّها أشخاصها، وهذا

الأمرُ ردّ عليه أميرُ المؤمنينَ عليه السلام في خطبته أعلاه؛ ليُحرِّر عقليّة بعض أهلِ البصرة مِنْ هذه التُّهم التي يردِّدُها بعض أعدائه هناك.

ولمّا قسّم عليه السلام بيت مال البصرة على أصحابه، كان نصيبُ كلِّ واحدٍ خمسمائة درهم، وأخذ هو خمسمائة درهم كواحدٍ منهم، فجاءه إنسان لمْ يحضر معركة الجمل، فقال: يا أميرَ المؤمنين، كنْتُ شاهداً معك بقلبي، وإنْ غابَ عنك جسمي، فأعطِني مِنَ الفيء شيئاً، فَدَفَعَ إليه الذي أخذه لنفسه، وهو خمسمائة درهم، ولَمْ يُصِبْ مِنَ الفيء شيئاً[٦٦]، وهذا وجهٌ آخر من سياسة أمير المؤمنينَ الماليّة، فهو لمْ يترك المحتاجينَ منْ دون الحصول على مبتغاهم؛ لأنّ حرمانهم سوف يجرّهم إلى السّعي للحصول عليها بأيِّ شكلٍ من الأشكال، حتّى لو حصلوا عليها بطرقٍ غير شرعيّة، وهذا الأمر له أثرٌ سياسيٌّ ونفسيٌّ في الوقت نفسه، فالشّخص الذي يطلب مبلغاً من المال ما هو إلّا لحاجته إليه، وعدم حصوله عليه سوف يجرُّه نحو الأسوَأ، وربّما ينحرف عن طريق الإسلام وموقفه السّياسيّ الصّحيح؛ سعياً وراء مَن يُعطيه، حتّى لو كان عدوّه، وهذا الأمر لمْ يتركه الإمام عليٌّ عليه السلام مع أهل البصرة، بل عالجه بحكم مسؤوليّته على الرّعيّة، وإنصاف الجميع من دون تمييز.

فلمْ يكنْ الطّمع في النّعيم، ومنع الضّعيف والمحتاج، من نظريّات الإمام عليٍّ عليه السلام، بل كان يرجو أنْ يُعطيَه الله أجر المتواضعينَ المتصدّقينَ، «**ألَا وإنّ إمامَكم قدْ اكتفى مِنْ دُنياه بطمرَيْهِ**[٦٧]، **ومِنْ طُعْمِه بقُرصَيه، ألَا وإنّكُم لا تقدرونَ على ذلك، ولكنْ، أعينوني بورعٍ واجتهادٍ، وعفّةٍ وسَدادٍ، فو الله، ما كنزتُ مِنْ دنياكم تِبراً - الذّهب-، ولا ادّخرتُ مِنْ غنائمها وفراً- المال-، ولَا أعددتُ لبالي ثوبي طِمْراً، ولا حُزتُ مِنْ أرضها شِبراً**»[٦٨].

فأمير المؤمنينَ عليه السلام تركَ ملذّات الدّنيا وشهوتها من أجل إصلاح الرّعيّة، وتحقيق الإنصاف والعدالة على أحسن وجه، وتحقيق الرّفاهيّة الاجتماعيّة على ما يستطيع إلى ذلك سبيلاً، كأنّه عليه السلام أراد أنْ يعكس للحكّام أهمّيّة الورع في إصلاح شؤون الرّعيّة التي تتّبع حكّامها، وليس مِن شيمتهم أنْ يستغلّوا ضَعف النّاس، فيتسلّطونَ عليهم، ويحتكرونَ خيراتهم، وينعمونَ بملذّات الدّنيا، ويحرمونَ الفقراء مِن أبسط الحقوق، التي هي مِنْ واجبات الحكّام تُجاه شعوبهم.

المبحثُ الرابعُ

سياسةُ الإمامِ عليه السلام في كشفِ الحقائقِ وعدمِ طمسِها

الملاحظُ على أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سعى في تعريف أهل البصرة الحقيقة التّاريخيّة المغيّبة عنهم بفعل الإعلام المضادّ لشخص عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذا المجال يدلّ على سعة نظره عليه السلام، فضلاً عنْ صبره على استيعاب النّاس على اختلاف طبقاتهم وتفاوت تفكيرهم؛ إذْ كشف لهم عن الحقائق التّاريخيّة التي هي أساس الاختلاف في العقيدة الإسلاميّة والعاطفة الاجتماعيّة.

ففي الرّواية التاريخيّة تبرز هذه الأسس المنطقيّة في بيان الحقيقة من أمير المؤمنين عليه السلام، لعلّه يتمكّن من معالجة الأفكار الخاطئة، فيُروى عن معاذة العدويّة[٦٩] أنّها تقول: سمعتُ عليّاً عليه السلام على منبر البصرة، يقول:«**أنا الصّدّيقُ الأكبرُ، آمنتُ قبلَ أنْ يؤمنَ أبو بكر، وأسلمتُ قبلَ أنْ يُسلمَ**»[٧٠]. في حين الرّواية التّاريخيّة الأخرى قدْ مهّدتْ وبسطتْ فكرة الصّدّيق لشخص أبي بكر حسب زعمها؛ لأنّه صدّق برسول الله صلى الله عليه وآله حين كذّبه النّاس، إثر حادثة الإسراء[٧١].

إذن، الأمر ليسَ كما نتوقّعه، أو نقرأه منْ أفكارٍ احتُضنتْ وجُعلتْ واقع حال يعبّر عن شخصيّاتٍ ودولةٍ وأفضليّةٍ، بل أكثر من ذلك، وحسب التّعميم التّاريخيّ، وفي زمن متقدّم جدّاً ساده لون من التّحريف في الحقائق، ليعكسَ البيئة التي نشأ في أحضانها ذلك التّاريخ غير الصّحيح، فيجعل صورةً مشرقةً للبعض، غُيّبتْ على أثرها كلّ الإنجازات التي تحقّقتْ زمن الدّعوة الإسلاميّة، لاسيّما من الطّرف القريشيّ، وهذا الأمر تحدّد في كلام الإمام عليّ عليه السلام أثناء تطوافه على قتلى معركة الجمل؛ إذْ قال: «**هذه قريشٌ، جدعتُ أنفِي، وشفيتُ نفسي، لقدْ تقدّمتُ إليكم أُحذِّرُكم عضَّ السّيوف، وكنتُم أحداثاً لا علمَ لكُم بما ترونَ، ولكنّه الحَيْنُ وسوءُ المصرعِ، فأعوذُ باللهِ مِنْ سوءِ المصرع**»(٧٢).

إذن، فالإمام عليه السلام يُعرِّفُ أهل البصرة حقيقة الأمر الذي وقع، وما كان من قريش، التي نازعتْه كلّ شيء، ليتحوّل ذلك النّزاع إلى خارج حدود قريش، فيعمّ كلّ أرضٍ تابعة لدولة الإسلام، وليكشف عن ضغينةٍ تُجاهه، لا لشيءٍ سوى أنّه كان على الحقّ، ووقف إلى جانب رسول السّماء محمّد صلى الله عليه وآله، وهذا الأمر يؤسَف له؛ إذْ جَعَلَ الحقيقة مغيّبة، ومازال أثر ذلك التغييب يُؤوّل إلى أكثر مِنْ رأي تابع لعاطفة، أو نصر مذهب، أو شخصيّة.

لذلك، بدأ الإمام عليّ عليه السلام مشروعه الثقافيّ في إيضاح الحقيقة التي غُيِّبتْ عنْ بعضِ أهل البصرة، حتّى قيل: إنّه عليه السلام صعد المنبر يوماً في البصرة بعد الظّفر بأهلها، وقال: «**أقولُ قولاً لا يقولُه أحدٌ غيري إلّا كان كافراً: أنا أخو نبيِّ الرَّحمةِ، وابنُ عمّه، وزوجُ ابنتِهِ، وأبو سبطيه، فقام إليه رجلٌ مِنْ أهل البصرة، وقال: أنا أقولُ مثل قولك هذا: أنا أخو الرّسول، وابنُ عمِّه، ثمّ لمْ يُتمّ كلامه حتّى أخذتْه الرَّجفة،**

فما زال يرجفُ حتّى سَقَطَ ميّتاً لعنه الله»[٧٣]. وجاء في روايةٍ أُخرى، عن أصبغ بن نباتة الحنظليّ[٧٤]، قال: «رأيتُ أميرَ المؤمنينَ عليه السلام يوم افتتح البصرة، ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: «**أيّها النّاسُ، ألَا أخبركُم بخيرِ الخلقِ يومَ يجمعُهُم الله؟**»، فقامَ إليه أبو أيوبٍ الأنصاريّ، فقال: بلى، يا أمير المؤمنينَ، حدِّثنا، فإنّك كنتَ تشهدُ ونغيبُ، فقال: «**إنّ خيرَ الخلقِ يومَ يجمعُهُم اللهُ سبعة مِنْ وُلْدِ عبد المطّلب، لا يُنكِرُ فضلُهُم إلّا كافرٌ، ولا يجحدُ به إلّا جاحدٌ**»، فقام عمّار بن ياسر- رحمه الله- فقال: يا أمير المؤمنينَ، سمِّهم لنا لنعرفهم، فقال: **إنّ خير الخلق يوم يجمعهم الله الرّسل، وإنّ أفضلَ الرّسل محمّد صلّى الله عليه وآله، وإنّ أفضلَ كلّ أمّةٍ بعد نبيّها وصيُّ نبيِّها، حتّى يُدركه نبيٌّ، ألا وإنّ أفضلَ الأوصياء وصيُّ محمّدٍ عليه وآله السّلام، ألا وإنّ أفضل الخلق بعد الأوصياء الشّهداء، ألا وإنّ أفضلَ الشّهداء حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، له جناحانِ خضيبانِ يطيرُ بهما في الجنّة، لمْ يُنحلْ أحدٌ من هذه الأمّة جناحان غيره، شيء كرَّم الله به محمّداً صلّى الله عليه وآله، وشرّفه، والسّبطان الحسن والحسين، والمهديّ عليهم السّلام، يجعله الله مَن شاءَ منّا أهل البيت**، ثمّ تلا هذه الآية ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[٧٥]، **ذلك الفضلُ منَ الله، وكفى بالله عليماً**»[٧٦].

وواقعُ الحال يُشيرُ إلى أنّ هناك بعض أهل البصرة كانوا حتّى ذلك الوقت الذي انتصر به الإمامُ عليٌّ عليه السلام على ناكثي بيعته ما يزالون غير مصدّقينَ قولَه، بل كأنّهم يشكّونَ في كلامه، وهذا راجعٌ إلى خلفيّتهم الثقافيّة مع أهوائهم التي ليس مِنَ السّهل التخلّص منها والعدول إلى هوىً جديد. ومنْ ثَمَّ لمْ نجدْ الإمامَ

عليّاً ﷺ يعتمد على الآخرين في توضيح حقّه، أو نشر حقائق غائبة عن العامّة من النّاس، بل كان هو مَنْ يتحدّث مباشرةً لأهل البصرة؛ رغبةً منه في توضيح ما اشتبه مِن القول، وإصلاح ما أفسده الآخرون، مع التحفّظ على شخصيّات الإسلام الأوائل منْ دون المساس بها، أو تسقيطها، وهذا الأمر مِنْ روائع الإمام عليّ ﷺ في توجّهه السّليم لإصلاح شأن الرّعيّة، ومراعاة شعورهم، وهذا الحال تكشفه الرّوايات التّاريخيّة، التي عبّرتْ عن صورة القول من طرف بعض أهل البصرة وردّ أمير المؤمنينَ بالمقابل على أسئلتهم؛ إذْ لمْ ينلْ ﷺ حتّى مِنَ الّذينَ تسبّبوا في قتل النّاس، وإحلال الفساد في ملّة الإسلام، بل كان هدفُهُ ﷺ أوسع مِن ذلك، رغبةً في الابتعاد عن ابتزاز الآخرينَ من العامّة(٧٧)، وهذا يدلّ على حقيقة أمير المؤمنينَ في إصلاح الشّأن، ويعمِّم ثقافة التّآخي وعدم التشهير بالآخرين، أو التّفكير في النّيل منهم، وهذه الميزة جديرة بخلق مجتمعٍ متعايشٍ سلميٍّ بعيدٍ عن الجدل غير الصّائب، أو التطرّف في الفكر.

وههنا نقطةٌ مهمّةٌ لابدَّ منْ تجليتها، وهي: أنّه قدْ ظهرتْ مِن أمير المؤمنين ﷺ مجموعةٌ من المواقف مِن بعض القتلى في معركة الجمل- وقدْ تقدّم بعضها- تتّسم بالتّألّم والحُزن، والذي يقرأ هذه المواقف بمفردها قدْ يتبادر إلى ذهنه أنّ أميرَ المؤمنينَ ﷺ غيرُ متيقّنٍ مِن مشروعيّة حربه معهم، أو أنّ هؤلاء كانوا محقّينَ في خروجهم على دولة الإمام ﷺ، وهذا ما يتطلّب إلى الإيضاح، فنقول:

يُعدّ البعدُ الإنسانيّ البعدَ الأهمَّ الذي يميّزُ حروب أمير المؤمنينَ ﷺ، فقدْ أظهر ﷺ، حُزنَه وقلقَه وتألّمه على المصير الذي وصل إليه حال بعض الشّخصيّات، كطلحة بن عبيد الله، وابنه محمّد بن طلحة، وكذا الزّبير بن العوّام،

وغير هؤلاء، إذن، يا ترى، بماذا نعلّل هذه المواقف؟ والإجابة على ذلك تتركّز في النّقاط الآتية(٧٨):

أوّلاً: إنّ بعضاً مِن هؤلاء لهم مواقف بطوليّة في الدّفاع عن الإسلام، فكان عليه السلام يتمنّى أنْ يقاتلَ بهم أعداء الإسلام، ويُدافع بهم عن الرّسالة السّامية، التي تتعرّض إلى مجموعة مِن الفتن.

ثانياً: لا يُمكن أنْ نتصوّر ذلك بأنّه نابعٌ من حالة الشكّ، أو النّدم على ما أقدم عليه، وهو العالم علم اليقين بحجّة فعله، لكنّ حالة التألّم على مَنْ قُتل في هذه المعارك هي دافعُ ذلك، وما يترتّب عليه منْ آثار سلبيّة في مسيرة الدّولة الإسلاميّة، وهذا بطبيعة الحال نابعٌ من الرّوح الإنسانيّة العظيمة التي عُرفَ بها، وكانتْ الطاغية على جميع أفعاله وتصرّفاته عليه السلام.

ثالثاً: إنّ ما أظهره الإمام عليه السلام كان في بعض جوانبه من حالة العتب؛ نتيجة نكران هؤلاء للإحسان الذي أسداه لهم في مواقف مختلفة، ومقابلتهم هذا الإحسان بالإساءة، عندما نكثوا بيعته، وخرجوا عليه يقاتلونه.

رابعاً: إنّ رثاءَ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام بعض قتلى الجمل، مصداقٌ رائعٌ من مصاديق عظمته وسلامة نفسه وطهارتها من كلّ رجسٍ وغلٍّ.

خامساً: إنّ قيامه عليه السلام بالصّلاة على القتلى والعفو عن الجرحى، قدْ جسّد البعد الإنسانيّ بكلّ معانيه، وقدْ أثمرتْ هذه السّياسة في نفوس أهل البصرة من خلال انضمام كثيرٍ منهم إلى معسكرهِ.

سادساً: إنّ الغالب على شخصيّته عليه السلام في حروبه، العفو والصّفح، التي عَبّر مِن خلالها عن حقيقة أخلاقه السّامية، التي هي انعكاسٌ واقعيٌّ لأخلاق

الإسلام.

سابعاً: إنّ هذه المواقف أشارتْ إلى رسوخ صفات المحبّة والودّ وصفاء النيّة، وانعدام كلّ حالات العداوة والبغضاء.

وقدْ جاء في روايةٍ ذكرٌ لموقف الإمام عليٍّ عليه السلام منْ المرأة وطبيعة التّعامل معها بشكلٍ عامٍّ، فقدْ أوصى عليه السلام بالابتعاد عن السّلوك القاسي، وأنْ لا يتناولها أحدٌ بأذىً، بل أنْ يكونوا على قدرٍ من التفكير لاستيعاب الحالة المؤقّتة التي ظهرتْ عليها بعض النّساء، جرّاء شدّة حزنهنّ على مَنْ فقدنَ مِن أقاربهنّ، فبعد نهاية معركة الجمل، وعند دخول الإمام عليّ عليه السلام الدّار التي نزلتْ فيها عائشة في البصرة، تعرّضتْ له إحدى النّساء بالدّعاء عليه عند دخوله وخروجه، فقال له مَن كانَ بصحبته: «والله لا تَفْلِتُنا هذه المرأة، فغضبَ، وقال: **صَه، لا تهتكُنّ ستراً، ولا تدخُلنّ داراً، ولا تهيجُنَّ امرأة بأذىً، وإنْ شتمنَ أعراضَكم، وسفّهنَ أمراءَكم وصلحاءَكم، فإنّهنّ ضِعافٌ، ولقدْ كنّا نؤمَرُ بالكَفِّ عنهنَّ وإنّهنَّ لمشركاتٌ، وإنّ الرّجلَ ليُكافِئ المرأة ويتناولها بالضّرب، فيُعيّرُ بها عقبُه مِنْ بعدِهِ، فلا يبلغني عن أحدٍ عَرَضَ لامرأةٍ، فأنكلّ به شرار النّاس**»[٧٩].

إنّ هذا اللّون مِن التّعامل لَجديرٌ بالتأمّل والتدبّر؛ إذْ يكشف عن الوجهة الحقيقيّة للشّريعة الإسلاميّة في تعاملها مع الضّعفاء، لا سيّما المرأة، فهناك أكثر مِن إشارة في الرّواية المتقدّمة ذكرها الإمامُ عليٌّ عليه السلام، وجاء بالدّرجة الأولى التعامل على قدر القوّة؛ إذْ ليس من الحكمة استغلال الضّعيف نسبة لموقفه، فإذا غلب أحلّ لنفسه كلّ رغباته، وأصبح سيّد القانون، يُشرِّعُ حسب هواه، بل على الضّدّ تماماً، عليه أنْ يتّبعَ نهجَ الشّريعة الإسلاميّة في الاحتراز من المرأة، على أنّها تتأثّر

بعاطفتها، فتغلبُ على تصرّفاتها، وكذلك للأثر الاجتماعيّ والعار الذي يلحقُ الرّجل عندما يتعرّض لامرأةٍ، أو يُحاول قهرَها في موقفٍ يُمكنه ذلك، وبهذا يكون مشروع أمير المؤمنين عليه السلام في تثقيف أهل البصرة -آنذاك- شاملاً لكلّ ما وجده بحاجة إلى إصلاح وتنبيه، أو ما تربّى عليه بعضهم منْ صورٍ نُقلتْ إليهم على أنّها واقعٌ ومصداقٌ لحياة المسلم ينبغي عليه أنْ يُسلّم بصحّتها، أو يجعلها منهجاً لحياته، سواء في ما صُنِعَ من مناقبَ لشخصيّاتٍ على أنّهم أبطال الدّين الإسلاميّ، أم ما تربّوا عليه من ثقافةٍ اجتماعيّةٍ سادتْ في بيئتهم، فلمْ يتخلّصوا منها حتّى في ظلّ الشّريعة الإسلاميّة.

الخاتمة

مِنْ خلال ما تقدّم، وفي سياق هذه الدّراسة، يتّضح أنّ هناك أفكاراً تاريخيّةً بحاجة إلى الكشف عنها، والتحقّق منها، برؤيةٍ سليمةٍ بعيدةٍ عن التعصّب، أو التصنّع في البحث التاريخيّ، لاسيّما وأنّ أحداث القرن الأوّل من الهجرة مازالتْ بحاجة إلى استقراء نصوصها، أو التدبّر فيها، حتّى نكشف عن أوضاعها مع سبب ظهورها بالشّكل النّهائيّ في مرحلة التدوين التاريخيّ.

يتّضحُ -أيضاً- أنّ الإمامَ عليّاً ﷺ كان على قدرٍ كبيرٍ من التدبّر، وهذا الأمر لمْ ينتج عن كونه رئيساً، أو حاكمَ دولةٍ فقط، بل جاء نتيجة لأنّه مكمِّلٌ لمشروع الهداية من باب الولي أو الوصيّ، فضلاً عنْ كونه إماماً معصوماً مفترض الطّاعة، كان عليه أنْ يؤسّس لأفكار صحيحة في ظلِّ تواجده في مدينة البصرة، وهذا ما جعله يتّبع سياسة العفو والصّفح والتّجاوز عن المُسيء، لحكمة: (العفو عند المقدرة).

وقدْ حاول الإمام ﷺ أنْ يسوسَ أهل البصرة بطريقته الخاصّة، لا بطريقة مَنْ سبقه مِن الحكّام، أو الولاة؛ فقدْ وَجَدَ أنّ الأفكار المبثوثة في مدينة البصرة بعيدة عن التيّار الثقافيّ الصّحيح لوقائع التاريخ، أو التنشئة الفكريّة لبعض أهل المدينة-البصرة- ما عمل جاهداً على تنقية فكرهم مِنْ تراكم الأفكار الخاطئة،

أو المقصودة، لمصلحة جهات رسميّة مثّلتْ الدّولة الإسلاميّة، قدْ سبقتْه عليه السلام في حكم الدّولة، فكانتْ البصرة جزءاً منها.

وقدْ حاول عليه السلام أنْ يتركَ بصمةً رائعةً جدّاً بخصوص التّعامل بين طبقات المجتمع البصريّ؛ إذْ أطلقَ لهم أكثر من فكرةٍ تكشف لهم التدبّر في أمور الحياة، وما بعد الممات، سواء كان المقصود طريقة اتّباعهم الحقّ، أمْ نهجهم سبل النّجاة، وتمييز الأفكار والأقوال الرّديئة المتناقلة فيما بينهم، أو التي يسمعونَ بها من أطراف أُخَر تفِدُ على مدينتهم.

الهوامش

١- يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ٦/ ١٠٨-١٠٩.

٢- يُنظر: الجوهريّ، الصّحاح: ٣/ ٣٩٨؛ وابن منظور، لسان العرب: ٦/ ١٠٨؛ والزّبيديّ، تاج العروس: ٨/ ٣٢٢؛ ويُنظر: باقر شريف القرشيّ، النّظام السّياسيّ في الإسلام: ص٤٣.

٣- يُنظر: الطّريحيّ، مجمع البحرين: ٢/ ٤٥٣.

٤- يُنظر: ابن الأثير: ٢/ ٤٢١.

٥- الإحكام: ٧/ ٩٨٧.

٦- ابن خلدون، تاريخ: ١/ ١٤٣.

٧- قيل: الفرق بين السّياسة والتّدبير، أنّ السّياسة في التّدبير المستمرّ، ولا يُقال للتدبير الواحد سياسة، فكلّ سياسة تدبير، وليس كلّ تدبير سياسة. أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغوية: ص٢٨٨.

٨- محمّد حسين الحاج، حقوق آل البيت ﷺ: ص٩٦.

٩- يُنظر: باقر شريف القرشيّ، النّظام السّياسيّ في الإسلام: ص٥٧.

١٠- يُنظر: عبد الرّضا الزّبيديّ، الرّسائل السّياسيّة بين الإمام عليّ ومعاوية: ص١٥.

١١- هذه إشارة إلى السّياسة الغربيّة البعيدة عن سياسة الإسلام، ولمْ نرغبْ في التعمّق فيها بقدر توضيح اختلافها مع سياسة الإسلام في العهود الأولى.

١٢- يُنظر: الكلينيّ، الكافي: ٥/ ٣٣؛ والصّدوق، علل الشّرائع: ١/ ١٥٠.

١٣- يُنظر: عبد الرّضا الزّبيديّ، الرّسائل السّياسيّة بين الإمام عليّ ومعاوية: ص٣٠.

١٤- يُنظر: علي خان، التديّن في السّياسة والعمل السّياسيّ: ص٢٩.

١٥- لقدْ تأثّر الإمام عليّ ﷺ عندما علم بما لقيته ربيعة في البصرة، وخروج عبد القيس عنها. للتفصيل، يُنظر: الطبريّ، تاريخ: ٣/ ٤٩٦؛ والمجلسيّ، بحار الأنوار: ٣/ ١٨.

١٦- كليب الجرميّ: هو كليب بن شهاب، الجرميّ، من بني قضاعة، عُدّ من الصّحابة، وقيل: إنّه مِنْ تابعي البصرة، وقيل: إنّه كان من الثّقات، ويُستحسن حديثه، وحدّث عن الإمام عليّ ﷺ بعض الرّوايات التّاريخيّة، يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٦/ ١٢٣؛ والعجليّ، معرفة الثّقات: ٢/ ٢٢٨؛ وابن عبد البرّ، الاستيعاب: ٣/ ١٣٢٩.

١٧- قطب الدّين الرّاونديّ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٤٥-١٤٦؛ وابن حمدون، التّذكرة الحمدونيّة: ٧/ ١٦٢-١٦٢.

١٨- يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٢-٢٣.

١٩- محمّد الرّيشهري، ميزان الحكمة: ٢/ ١٣٨٥.

٢٠- يُنظر: محمّد حسين الحاج، حقوق آل البيت ﷺ: ص٩٨.

٢١- شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٣٥٨.

٢٢- الجاحظ، الرّسائل السّياسيّة: ص٣٦٦.

٢٣- يُنظر: علي نجيب عطوي، الكميت بن زيد الأسديّ: ص٩٣.

٢٤- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٩٧؛ ويُنظر: جواد كاظم النّصر الله، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزليّ، رؤية اعتزاليّة عن الإمام عليّ ﷺ: ص٣٧٣.

٢٥- اليعقوبيّ، تاريخ: ٢/ ١٢٧؛ ويُنظر: المسعوديّ، مروج الذّهب: ٣/ ١٠٧.

٢٦- العلّامة الحلّيّ، مختلف الشّيعة: ٤/ ٤٥١.

٢٧- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٣٦٤.

٢٨- يُنظر: القاضي نعمان، دعائم الإسلام: ١/ ٣٩٤.

٢٩- يُنظر: ابن إدريس الحلّيّ، السّرائر: ٢/ ١٦.

٣٠- يُنظر: المفيد، الجمل: ص٢١٧.

٣١- القاضي نعمان، دعائم الإسلام: ١/ ٣٩٥؛ ويُنظر: محمّد باقر المحموديّ، نهج السّعادة: ١/ ٣٢٨.

٣٢- القاضي نعمان، دعائم الإسلام: ١/ ٣٩٥.

٣٣- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٢١٢.

٣٤- يُنظر: أحمد الرّحمانيّ الهمدانيّ، الإمام عليّ بن أبي طالب: ص٦٩٢.

٣٥- يُنظر: ابن عابدين، حاشية ردّ المحتار: ٤/ ٢٤٥.

٣٦- يُنظر: القاضي نعمان، شرح الأخبار: ٢/ ١٠٥.

٣٧- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٢٧؛ والخوئيّ، معجم رجال الحديث: ١٥/ ٨٨.

٣٨- قنبر: مولى أمير المؤمنين عليّ ﷺ، قتله الحجّاج بن يوسف الثقفيّ؛ بسبب حبّه للإمام عليّ ﷺ، ذُكِرتْ له رواية عن أمير المؤمنين ﷺ، يُنظر: ابن داوود، الرّجال: ص١٥٤، والخوئيّ، معجم رجال الحديث: ١٥/ ٨٧.

٣٩- ابن حزم، الفصل في الملل: ٤/ ١٨٦.

٤٠- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٢٧.

٤١- الفصل في الملل: ٤/ ١٨٦.

٤٢- يُنظر: ابن حزم، الفصل في الملل: ٤/ ١٨٦؛ والطوسيّ، اختيار معرفة الرّجال: ١/ ٢٨٨؛ وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٢٧؛ والمجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٨٥.

٤٣- المعجم الموضوعيّ لأحاديث الإمام المهديّ ﷺ، الشّيخ عليّ الكورانيّ: ١٠٤٥.

٤٤- في التّمهيد: ٥/ ٣١٧.

٤٥- المفيد، الأمالي: ص٥؛ والطوسيّ، الأمالي: ص٦٢٦؛ ومحمّد بن عليّ الطبريّ، بشارة المصطفى: ص٢٢. وهذا القول قاله الإمام ﷺ للحارث الهمدانيّ، والد شريك الحارثيّ بمسجد البصرة.

٤٦- لمْ أعثر على ترجمةٍ له.

٤٧- البلاذريّ، أنساب الأشراف: ٢/ ٢٣٨-٢٣٩؛ واليعقوبيّ، تاريخ: ٢/ ٢١٠.

٤٨- يُنظر: حامد حفني داوود، نظرات في الكتب الخالدة: ص٤٧.

٤٩- البلاذريّ، أنساب الأشراف: ١/ ٣٦٢.

٥٠- العقاد، عبّاس محمود، موسوعة العقّاد: ٢/ ١١٦.

٥١- يُنظر: خطبة الإمام عليّ، المفيد، الإرشاد: ص١٩٧.

٥٢- يُنظر: الثّقفيّ، الغارات: ١/ ٣٣٠-٣٣١؛ وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٣/ ١٢٧.

٥٣- القاضي النّعمان، شرح الأخبار: ٢/ ٢٩٠.

٥٤- القاضي النّعمان، شرح الأخبار: ٢/ ٢٩١.

٥٥- يُنظر: القاضي النّعمان، شرح الأخبار: ٢/ ٢٩٠.

٥٦- منْ سورة الذّاريات، الآية (٥٥).

٥٧- بحار الأنوار: ٣٢/ ٢٥٦.

٥٨- تنمّرك: تنمّر له، أي: تنكّر له وتغيّر. الجوهريّ. الصّحاح: ٢/ ٨٣٨.

٥٩- بوَغْم: وَغِمَ عليه بالكسر، أي: حَقَدَ، والوَغْم، التِّرة، يُنظر: الجوهريّ، الصّحاح: ٥/ ١٩٩٨.

٦٠- الشّريف الرّضي، نهج البلاغة: ٣/ ١٨.

٦١- يُنظر: محمّد مهدي شمس الدّين، دراسات في نهج البلاغة: ص٧٣.

٦٢- أبو حرب بن أبي الأسود الدّؤليّ: قيل: إنّ اسمه محجن، وقيل: اسمه عطاء، وقيل: إنّ عطاءً وأبا حربٍ اثنان؛ إذْ يُذكر بهذا الشّأن أنّه ولد لأبي الأسود عطاء وأبو حرب، ولا عقب لعطاء، وكان أبو حرب بصريّاً، عاقلاً، شاعراً، له عقب في مدينة البصرة، ولّاه الحجّاج ابن يوسف الثقفيّ في أيّام ولايته على العراق (جوخا-نهر)، عليها كورة واسعة في سواد بغداد، فلمْ يزلْ عليها حتّى مات الحجّاج، ويُقال: إنّه كان كريماً، يُقدِّم المساعدة للمحتاجين، مات سنة (١٠٨، أو ١٠٩هـ)، يُنظر: ابن قتيبة، المعارف: ص٤٣٥؛ والذّهبيّ، العبر في خبر مَن غَبَر: ١/ ١٣٤.

٦٣- أضرط به: معناه: استهزأ به. الجوهريّ، الصّحاح: ٣/ ١١٤٠.

٦٤- محمّد بن سليمان الكوفيّ، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢/ ٥٥.

٦٥- البلاذريّ، أنساب الأشراف: ١/ ٣٧١.

٦٦- يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٨٧.

٦٧- طمريه: طمر: جمع أطمار، والطّمر الثّوب الخَلِق البالي. الجوهريّ، الصّحاح: ٢/ ٧٢٦.

٦٨- الشّريف الرّضي، نهج البلاغة: ٣/ ٧٠.

٦٩- هي معاذة العدويّة بنت عبد الله، امرأةُ صِلة بن أشيم، وهي مِن أهل البصرة، أمّ الصّهباء، رُوي عنها في كتب الصِّحاح وكتب الحديث الأُخَر بعض الأحاديث والرّوايات التّاريخيّة، وقيل: إنّها كانتْ من العابدات، وحديثها يُحتجُّ به، تُوفّيت على رواية سنة (٨٣هـ)،

يُنظر: ابن سعد، الطّبقات الكبرى: ٨/ ٤٨٣؛ والذّهبيّ، الكاشف في معرفة مَنْ له رواية في الكتب السّتّة: ٢/ ٥١٧.

٧٠- الجاحظ، العثمانيّة: ص٢٩٠؛ وابن قتيبة، المعارف: ص١٦٩؛ والبلاذريّ، أنساب الأشراف: ٢/ ١٤٦؛ والعقيليّ، الضّعفاء: ٢/ ١٣١؛ وعبد الله بن عدي، الكامل: ٣/ ٢٤٧؛ والمفيد، أوائل المقالات: ١/ ٣١؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٣٣؛ وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٢٨؛ والمزّي، تهذيب الكمال: ١٢/ ١٨؛ والذّهبيّ، المُغني في الضّعفاء: ١/ ٤٤٠؛ وابن كثير، البداية والنّهاية: ٧/ ٣٧٠؛ وابن حجر، تهذيب التّهذيب: ٤/ ١٧٩.

٧١- يُنظر: ابن هشام، السّيرة النّبويّة: ٢/ ٢٧٠.

٧٢- المفيد، الإرشاد: ١/ ٢٥٤.

٧٣- ابن شاذان، الفضائل: ص٩٨.

٧٤- أصبغ بن نباتة الحنظليّ: أبو القاسم، المجاشعيّ، الدّارميّ، الكوفيّ، مِنْ خواصّ أمير المؤمنينَ عليٍّ ﷺ، سَمِعَ منه، وروى عنه، ومِن الوجوه البارزة بين أصحابه، وأحد ثقاته، وهو مشهورٌ بثباته واستقامته على حبّه، وصَفَتْه النّصوص التّاريخيّة القديمة بأنّه شيعيٌّ. كان مِن شرطة الخميس، ومِنْ أمرائهم، عاهد الإمام ﷺ على التّضحية والفداء والاستشهاد، وشهد معه الجمل، وصِفّين، وكان معدوداً في أنصاره الأوفياء المخلصين، له كتاب (مقتل الحسين ﷺ)، قيل: إنّه عُمّر حتّى كانتْ وفاته في القرن الثّاني من الهجرة، يُنظر: البخاريّ، التّاريخ الكبير: ٢/ ٣٥؛ ومحسن الأمين، أعيان الشّيعة: ٣/ ٤٦٤.

٧٥- من سورة النّساء، الآية (٦٩).

٧٦- الكلينيّ، الكافي: ١/ ٤٥٠.

٧٧- يُنظر في ذلك: الواقديّ، المغازي: ١/ ٢٥٦.

٧٨- يُنظر: الميّاحيّ، شكري ناصر، الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ، دراسة في فكره العسكريّ: ص٧٩-٨٨.

٧٩- الطبريّ، تاريخ: ٣/ ٥٤٤؛ ومسكويه، تجارب الأمم: ١/ ٥٠٥.

المصادرُ والمراجعُ

أوّلاً: المصادرُ الأوليّةُ

- القرآنُ الكريمُ.

- ابن الأثير، مجد الدّين، أبو السّعادات المبارك بن محمّد، الجزريّ (ت٦٠٦هـ/ ١٢١٠م).

١- النّهاية في غريب الحديث، تح: طاهر أحمد الزّاوي، محمود الطناحيّ، مطبعة مؤسّسة إسماعيليان، ط٤، قم، ١٩٤٥م.

- البخاريّ، أبو عبد الله، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجعفيّ (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م).

٢- التّاريخ الكبير، نشر المكتبة الإسلاميّة، ديار بكري، تركيا، (د.ت).

- البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٣- أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض زركلي، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.

- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م).

٤- العثمانيّة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مطبعة دار الكتاب العربيّ، مصر، ١٩٥٥م.

- الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م).

٥- الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، مطبعة دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م.

- ابن حجر، شهاب الدّين العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م).

٦- تهذيب التّهذيب، ط١، ١٩٨٤م.

- ابن أبي الحديد، عزّ الدّين، أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله، المدائنيّ (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٧- شرح نهج البلاغة، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار أحياء التّراث العربيّ،

عيسى البابي الحلبيّ وشركاؤه، ط١، ١٩٧٨م).
- **ابن حزم، أبو محمّد، عليّ بن أحمد الظاهريّ (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).**
٨- الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد شاكر، مطبعة العاصمة، القاهرة، (د.ت).
٩- الفصل في الملل والأهواء والنّحل، مطبعة التمدّن، ط١، ١٩٠٨م.
- **ابن حمدون، محمّد بن الحسن بن محمّد بن عليّ (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م).**
١٠- التّذكرة الحمدونيّة، تح: إحسان عبّاس، بكر عبّاس، ط١، ١٩٩٦م.
- **ابن خلدون، عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، الحضرميّ، المغربيّ (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).**
١١- تاريخ ابن خلدون، ط٤، بيروت، (د.ت).
- **ابن داوود، أبو بكر، تقيّ الدّين، الحسن بن عليّ، الحلّيّ (ت٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م).**
١٢- رجال ابن داوود، تح: محمّد طارق آل بحر العلوم، مطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٩٧٢م.
- **الذّهبيّ، شمس الدّين، محمّد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).**
١٣- العبر في خبر مَن غبر، تح: فؤاد سيّد، الكويت، ١٩٦١م.
١٤- الكشف في معرفة مَنْ له رواية في الكتب السّتّة، تقديم وتعليق وتخريج: محمّد عوامة، أحمد محمّد نمر الخطيب، ط١، ١٩٩٢م.
١٥- المُغني في الضّعفاء، تح: أبي الزّهراء حازم القاضي، ط١، ١٩٩٧م.
- **الزّبيديّ، محمّد مرتضى، الحسنيّ، الواسطيّ، الحنفيّ (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).**
١٦- تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- **ابن سعد، محمّد بن منيع، الزّهريّ (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م).**
١٧- الطّبقات الكبرى، مطبعة دار صادر، بيروت، (د.ت).
- **الشّريف الرّضي، أبو الحسن، محمّد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م).**
١٨- نهج البلاغة، تح: محمّد عبده، مطبعة دار المعارف، بيروت، (د.ت).
- **شكري ناصر الميّاحيّ، (معاصر).**
١٩- الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ، دراسة في فكره العسكريّ، ط١، دار الفيحاء، بيروت، ٢٠١٣م.
- **ابن شهر آشوب المازندرانيّ، رشيد الدّين، أبو عبد الله، محمّد بن عليّ بن أبي نصر بن أبي**

الجيش، السّرويّ (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

٢٠- مناقب آل أبي طالب، تح: لجنة مِن أساتذة النّجف الأشرف، مطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٩٩٦م.

- الصّدوق، أبو جعفر، محمّد بن عليّ بن الحُسين بن موسى بن بابويه، القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٣٠م).

٢١- علل الشّرائع، تح: محمّد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدريّة، النّجف، ١٩٦٦م.

- الطبريّ، أبو جعفر، محمّد بن جرير (٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٢٢- تاريخ الطبريّ، تح: نخبة مِن العلماء الأجلّاء، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٩م.

- الطّريحيّ، الشّيخ فخر الدّين (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م).

٢٣- مجمع البحرين، تح: أحمد الحسينيّ، ط٢، ١٩٨٨م.

- الطوسيّ، الشّيخ أبو جعفر، محمّد بن الحسن بن عليّ (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).

٢٤- اختيار معرفة الرّجال، تح: مهدي الرّجائيّ، مطبعة بعثت، قم، ١٩٨٤م.

٢٥- الأمالي، تح: قسم الدّراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، ط١، قم، ١٩٩٤م.

- ابن عابدين، محمّد أمين (ت١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م).

٢٦- حاشية ردّ المحتار، إشراف: مكتب البحوث والدّراسات، مطبعة الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

- عبد الله بن عدي، أبو أحمد (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٦م).

٢٧- الكامل في ضعفاء الرّجال، تح: سهيل زكار، مطبعة دار الفكر، ط٣، بيروت، ١٩٨٩م.

- ابن عبد البَرّ، يوسف بن عبد الله بن محمّد، النّمريّ، الأندلسيّ (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٢٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمّد البجّاوي، مطبعة دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.

٢٩- التّمهيد، تح: مصطفى بن أحمد العلويّ، محمّد عبد الكبير البكريّ، مطبعة المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، ١٣٨٧هـ.

- ابن عساكر، أبو القاسم، عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، الشّافعيّ (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٣٠- تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، مطبعة دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.
- **العقيليّ، أبو جعفر، محمّد بن عمرو بن موسى بن حمّاد، المكّيّ (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٤م).**
٣١- الضّعفاء، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، مطبعة دار الكتب العلميّة، ط٣، بيروت، ١٩٩٨م.
- **العلّامة الحلّيّ، الحسن بن يوسف بن المطهّر (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م).**
٣٢- مختلف الشيعة، تح: لجنة التأليف، مطبعة مؤسّسة النشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين، ط١، قم ١٩٩٣م.
- **القاضي النّعمان، أبو حنيفة بن محمّد، التّميميّ، المغربيّ (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٤م).**
٣٣- دعائم الإسلام، تح: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٣٤- شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، تح: محمّد الحسينيّ الجلاليّ، مطبعة مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، قم، (د.ت).
- **ابن قتيبة الدِّينوريّ، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).**
٣٥- المعارف، تح: ثروت عكاشة، مطبعة دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- **قطب الدّين الرّاونديّ، أبو الحسين، سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ/ ١١٨٥م).**
٣٦- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: عبد اللّطيف الكوهكمريّ، مطبعة الخيّام، قم،١٩٨٣م.
- **ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل، الدّمشقيّ (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م).**
٣٧- البداية والنّهاية، مطبعة دار إحياء التّراث العربيّ، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.
- **الكلينيّ، أبو جعفر، محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الرازيّ (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م).**
٣٨- الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، المطبعة الحيدريّة، ط٣، تهران، ٢٠٠٩م.
- **الكوفيّ، محمّد بن سليمان (ت بعد ٣٠٠هـ/ ٩١٣م).**
٣٩- مناقب الإمام أمير المؤمنينَ، تح: محمّد باقر المحموديّ، مطبعة النّهضة، ط١، قم، ١٩٩٢م.
- **المجلسيّ، العلّامة محمّد باقر (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠م).**
٤٠- بحار الأنوار، مطبعة مؤسّسة الوفاء، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.

- **المزّي، جمال الدّين، أبو الحجّاج يوسف (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).**
٤١- تهذيب الكمال، تح: بشّار عوّاد معروف، ط٤، بيروت، ١٩٨٦م.
- **المسعوديّ، عليّ بن الحسين بن عليّ (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).**
٤٢- التنبيه والإشراف، دار صعب، بيروت، (د.ت).
٤٣- مروج الذّهب ومعادن الجوهر، مطبعة شريعت، ط١، ٢٠٠٢م.
- **مسكويه، أبو عليّ، أحمد بن محمّد مسكويه، الرّازيّ (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م).**
٤٤- تجارب الأمم، تح: أبو القاسم إمامي، مطبعة دار سروش، ط١، ٢٠٠١م.
- **المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان، العكبريّ، البغداديّ (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).**
٤٥- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، مطبعة السّرور، ط١، إيران، ٢٠٠٧م.
٤٦- الأمالي، تح: حسين الأستادلي، علي أكبر غفاري، ط٢، ١٩٩٤م.
٤٧- أوائل المقالات، تح: الشّيخ إبراهيم الأنصاريّ، ط٢، ١٩٩٣م.
- **ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدّين، محمّد بن مكرم، الأفريقيّ، المصريّ (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).**
٤٨- لسان العرب، مطبعة دار إحياء التّراث العربيّ، ط١، قم، ١٩٨٥م.
- **الواقديّ، أبو عبد الله، محمّد بن عمر (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).**
٤٩- المغازي، تح: مارسدن جونس، نشر دانش إسلاميّ، ١٩٨٤م.
- **ابن هشام، أبو محمّد، عبد الملك بن هشام بن أيّوب، الحميريّ (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م).**
٥٠- السّيرة النبويّة، تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٣م.
- **اليعقوبيّ، أبو يعقوب، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البغداديّ (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م).**
٥١- تاريخ اليعقوبيّ، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ثانياً: المراجع

- **الأمين، محسن.**
٥٢- أعيان الشّيعة، تح: حسن الأمين، مطبعة دار المعارف، بيروت، ١٩٨٣م.
- **الحاج، محمّد حسين.**
٥٣- حقوق آل البيت، تح: جعفر السّبحانيّ، مطبعة مهر، ط١، ١٩٩٥م.

- **الخوئيّ، أبو القاسم الموسويّ.**
٥٤- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرّواة، تح: لجنة التحقيق، ط٥، ١٩٩٣م.
- **داود، حامد حفني.**
٥٥- نظرات في الكتب الخالدة، تح: مرتضى الرّضويّ، مطبعة دار العلم، ط١، القاهرة، ١٩٧٩م.
- **الزبيديّ، عبد الرّضا.**
٥٦- الرّسائل السّياسيّة بين الإمام عليّ ومعاوية، مطبعة أمير، ط١، قم، ٢٠٠٠م.
- **شمس الدّين، محمّد مهدي.**
٥٧- دراسات في نهج البلاغة، مطبعة دار الزّهراء، ط٢، بيروت، ١٩٧٢م.
- **العقّاد، عبّاس محمود.**
٥٨- موسوعة أعمال عبّاس محمود العقّاد، العبقريّات الإسلاميّة، ط٢، بيروت، ١٩٩١م.
- **علي خان، عبد الله.**
٥٩- التديّن في السّياسة والعمل السّياسيّ، مطبعة دار البيان العربيّ، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.
- **القرشيّ، باقر شريف.**
٦٠- النّظام السّياسيّ في الإسلام، مطبعة دار التعارف، ط٢، بيروت، ١٩٧٨م.
- **الكوراني، الشّيخ علي (معاصر).**
٦٢- المعجم الموضوعيّ لأحاديث الإمام المهديّ ﷺ، ط١، (د.مط)، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
- **المحموديّ، محمّد باقر.**
٦٣- نهج السّعادة في مستدرك نهج البلاغة، مطبعة النّعمان، ط١، النّجف الأشرف، ١٩٦٦م.
- **النّصر الله، جواد كاظم.**
٦٤- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزليّ، رؤية اعتزاليّة عن الإمام ﷺ، ط١، طهران، ٢٠٠٤م.
- **الهمدانيّ، أحمد الرّحمانيّ.**
٦٥- الإمام عليّ بن أبي طالب، مطبعة أفست فتّاحي، ط١، تهران، ١٩٩٧م.